

وما سواها (301)



الوهم والإبداع والحياة!!

د. صادق السامرائي

الطبيب النفسي، العراق / أمريكا

هل نحن نعيش واقعا نتلمسه , أم نتفاعل في عالم من الأوهام والتصورات , التي تتوطن أخاديد الأدمغة وتطوف في فضاءات العقول!؟

تساؤل يطرح نفسه ونحن نتوطن هذا الكوكب الذري الصغير , التائه في صحارى الأكوان , المتكؤر على نفسه , الخائف من إنفلاته وإنفجاره ونهاية عمره الكوني .

كوكب ذري الحجم بالقياس إلى حجم الكون الذي يسبح فيه , مؤهل في أية لحظة للإرتطام بحجر كوني هائل , ربما سيقترب منه ذات وقت ويحيله إلى هباء منثور .

هذا الجُرم الحائر المرتعش المُبتلى بالدوران ليعيش حالة دوام وغثيان دائمتين , فينقطع عن محيطه الكوني المرعب.

ونحن نصنع الحياة على الكوكب الصغير ونحسب أننا كبارا , ونُدري وما أوتينا من العلم إلا بقدر حجمه , قياسا إلى جسد الكون المتنامي , والذي تتصاعد أنفاسه , وتتعاظم تفاعلاته , وتلتهب نيرانه , ويتمدد كيانه إلى أن يهرم ويشيخ , وينطوي في بطن ذرة الخلق الأزلية , ويكمن فيها حتى تحين لحظة المخاض الخلقى والولادة المدوية الآفاق.

فكأننا وهمٌ يتفاعل في كف وهمٍ , أو ذرة تتصارع في بطن ذرة , أو حالة لا يمكن رؤيتها أخذت ما نتصور إننا نراه من الأشكال والرموز المادية الساعية إلى نقطة المنتهى والإنفجار المبهم البعيد .

ونمضي في رحلتنا الوهمية , ونصنع أوهاما تبعدنا عن رؤية الحقيقة , ومصافحة قلب النور والوعي واليقين , لأن في ذلك إنطلاق رمز الحياة من رموزه المادية إلى آفاق الكيانات العلوية , التي لا يمكنها أن تكون إلا أصغر من حبات الضوء .

الوهم سيدنا وقائدنا ومرشدنا ومستعبدنا , وفيه تكمن قوتنا ومعالم نهايتنا , ومنه نستمد قدراتنا على التواصل والتفاعل الوهمي مع أوهامنا , التي تسخرنا لغاياتها الوهمية وفضاءاتها السرمدية , ونحن ندور بذات الذرة الترابية , التي كشفت عن جسدها العاري وأنيابها الحمراء وعيونها النارية الصفراء .

الوهم عالمنا الذي نتجول فيه , ونتخبط كالخراف المحشوة بالآمال والطموحات , والمشوية على نار الأرض المتقلبة تحت لهيب الشمس الغاضبة , وهي تتوسط في بعدها عنها مقارنة بشقيقاتها في المجموعة الشمسية الدوارة.

فهل وَجَدنا على أرضنا سلوكا واحدا عاريا من الوهم!؟

نحن البشر نجسد خلاصة الأوهام ونصبها في قوالب فكرية وإبداعية ذات مواصفات خاصة , ونحسب

هل نحن نعيش واقعا نتلمسه , أم نتفاعل في عالم من الأوهام والتصورات , التي تتوطن أخاديد الأدمغة وتطوف في فضاءات العقول!؟

نحن نصنع الحياة على الكوكب الصغير ونحسب أننا كبارا , ونُدري وما أوتينا من العلم إلا بقدر حجمه , قياسا إلى جسد الكون المتنامي , والذي تتصاعد أنفاسه , وتتعاظم تفاعلاته , وتلتهب نيرانه , ويتمدد كيانه إلى أن يهرم ويشيخ , وينطوي في بطن ذرة الخلق الأزلية , ويكمن فيها حتى تحين لحظة المخاض الخلقى والولادة المدوية الآفاق

فكأننا وهمٌ يتفاعل في كف وهمٍ , أو ذرة تتصارع في بطن ذرة , أو حالة لا يمكن رؤيتها أخذت ما نتصور إننا نراه من الأشكال والرموز المادية الساعية إلى نقطة المنتهى والإنفجار المبهم البعيد

الوهم سيدنا وقائدنا ومرشدنا ومستعبدنا , وفيه تكمن قوتنا ومعالم نهايتنا , ومنه نستمد قدراتنا على التواصل والتفاعل الوهمي مع أوهامنا , التي

تسخيرنا لغاياتها الوهمية وفضاءاتها السرمدية

نحن البشر نجسد خلاصة الأوهام
ونصبها في قلوبنا فكرية
وإبداعية ذات مواصفات
خاصة ، ونحسب أننا خارج دائرة
الوهم ونُدري

سلوكنا بما يحتويه إستجابات
وهمية لمحفزات وهمية مولودة
في رحم الوهم الكبير ، الوهم
الأرضي الذي نتمسك به هو أن
نرى ما نرى ولا نرى ما لا نرى!؟

الوهم البشري هو الإعتقاد
بشيء ، والتمسك به وعدم
العدول عنه لو توفرت كل
أسباب دحضه وعلاماته بهتانه

الوهم البشري لا يمكن أن
يتزحزح عن مكانه ويقرر غير ما
يتوهمه ، وقد يكون الوهم
فرديا فنحسبه مرضيا ، أو جماعيا
ونحسبه مقبولا وطبيعيا ، وفقا
لأوهامنا الإحصائية وتصوراتنا
المادية

الوهم هو الذي يغذي الحروب
الطاحنة بوقود بشرية ومادية
وفكرية ونظرية ، تديم سفك
الدماء وقتل البشر الواهم
الصاعد إلى علياء السفول من
شدة وهمه الضارب في أركان
كيانه السحيقة

الوهم له علاقة قوية بالإبداع
البشري ، والبشر فردا وجماعة لا
يمكنه أن يبدي إن لم يكن
حصانا راكضا يجلده سوط الوهم
بشدة ، ويؤلمه حتى يفجر
مكنوناته الوهمية بصيغ إبداعية
قد نسميها شعرا أو قصة أو رواية
أو أي جنس أدبي أو علمي آخر

المتنبئ سمي كذلك ، لأنه
توهم بأنه نبي ومضى في أعماق
لا وحيه يتصرف على أنه نبي ،

أنا خارج دائرة الوهم ونُدري ، وتعامل مع ما نطلقه من أفعال ، وعلى جميع مستويات الحس والمهارات
البشرية على أنها أوهام ، وكأننا وهم يعيش أوهاما . وهو الذي يديرها ويتعلق بها وتسخره لغاياتها
ونواياها .

فسلوكلنا بما يحتويه إستجابات وهمية لمحفزات وهمية مولودة في رحم الوهم الكبير ، الوهم الأرضي
الذي نتمسك به هو أن نرى ما نرى ولا نرى ما لا نرى!؟

إنها معادلة الوهم الأرضي المروعة ، التي نتخبط بها كالطير المذبوح ، يحسب نفسه يركض ويرقص
من غير رأس!!

الوهم البشري هو الإعتقاد بشيء والتمسك به وعدم العدول عنه لو توفرت كل أسباب دحضه وعلاماته
بهتانه .

إنه تمسك مطلق أعمى بما نرى ونفكر ، ولا يجوز لنا أن نهز سلة أوهامنا ونراجع أفكارنا ، لأنها
تمكنت منا وتسلطت علينا وإستبدت في تسخيرنا لغاياتها دون غيرها ، ولا يمكنها أن تسمح لنا بالنظر
بعقل آخر وبصيرة جديدة واضحة .

بل لا بد أن نضع نظارة أوهامنا على عيوننا لكي نرى ما حولنا ، أما أن ننظر من غير عدسات الوهم
المتسلط على بصائرنا فإن ذلك يُعد من الجرائم الكبرى ، التي على المجتمع المتوهم أن ينزل القصاص
بصاحبها ، وأن ينكر ويرجم من نزع نظارة الأوهام وراح ينظر بعيون مبصرة خالية من التأثيرات الوهمية
الجارفة إلى ضفافها كل الأمواج!!

الوهم البشري لا يمكن أن يتزحزح عن مكانه ويقرر غير ما يتوهمه ، وقد يكون الوهم فرديا فنحسبه
مرضيا ، أو جماعيا ونحسبه مقبولا وطبيعيا ، وفقا لأوهامنا الإحصائية وتصوراتنا المادية.

والوهم سبب الكثير من المرات الأراضية والتفاعلات البشرية السلبية ، لأنها ناجمة عن تناطح أوهام
وتفاعلات موجودات واهمة تريد أن تؤكد وهمها ، وسيادته على بقعة كونية مرعوبة من محيطها الكوني
ومن مكوناتها المتنوعة .

الوهم هو الذي يغذي الحروب الطاحنة بوقود بشرية ومادية وفكرية ونظرية ، تديم سفك الدماء وقتل
البشر الواهم الصاعد إلى علياء السفول من شدة وهمه الضارب في أركان كيانه السحيقة.

وهذا الوهم العجيب يتسبب بالمآسي والأوجاع ، وفي ذات الوقت يحقق الإبداع ، ويدفع بالعقول
الواهمة إلى عطاءات ذات أوهام فائقة ، تزيد من تعقيد أوهامنا الأراضية وتفاعلاتنا البشرية الحارة.

فالوهم له علاقة قوية بالإبداع البشري ، والبشر فردا وجماعة لا يمكنه أن يبدي إن لم يكن حصانا
راكضا يجلده سوط الوهم بشدة ، ويؤلمه حتى يفجر مكشوفاته الوهمية بصيغ إبداعية قد نسميها شعرا أو
قصة أو رواية أو أي جنس أدبي أو علمي آخر .

وما نكتشفه ونضخه في فضاءات الأرض من مخترعات ومبتكرات وإكتشافات مولودة من رحم
الأوهام .

والأوهام قد تكون نسبية وفقا لدرجة سيادة الوهم الأرضي بين البشر ، فعلى سبيل المثال لو أن
الأخوين رايت قد فكرا في الطيران بالدراجة الهوائية والسباحة في الفضاء قبل بداية القرن العشرين ، ولو
أنهما إنصاعا لما ذهب إليه وراحا يتحدثان عنه بين الناس دون ما يثبت أنهما ليسا واهمين ، لقلنا عنهما
أنهما مجنونين وبحاجة إلى علاج ، لأنهما في حالة وهم ولا يمكن لأحد أن يقنعهما بأنهما لا يمكنهما أن
يطيرا في الهواء .

ولكن إستمرارية فعلهم وإنصاعهم لوهمهما قد إستنزله إلى حقيقة الفعل ، وصرنا نعيش هذا الوهم

وعليه أن يقول كما يقول الأنبياء
، ويأتي بما يعجز عنه الآخرون
من حوله ، لكي يكتسب صفة
نبي

القول بالأوهام في وصف
الإبداع إنما هو الوهم بعينه ،
وإضافة وهمية لحلقة الأوهام
الأرضية المفرغة ، التي لا يمكننا
أن نعرف نهايتها أو بدايتها ،
بل نمضي معها في دوران اللا
أدري البعيد

الشعر وهم والشاعر في أعظم
وهم ، والإبداع وهم الوهم ،
وكلنا في محيطات الوهم أمواج
تتلاقى وتظهر ، ثم تذوب في
الوهم الأرضي اللذيذ

لا يمكننا أن نستيق من أوهامنا
ونتحرر من جاذبية الأرض الثقيلة
، التي تشوه رؤانا وتمتلكنا
وتنومنا وتخدنا بمحاليل الرغبات
السرية ، إلا في وقت لا نتبعنا
فيه اليقظة .

همننا سر الوجود ، همننا إنجاب
وهم ، نحن ذرات تطير ، في
فضاءات الخطير ، موجة تأتي
وأخرى تذهب ، وكذا نحن
بوهم نلعب !!

ونظوره ونتمتع به ، وما حصل الأخوان من العمل على إنجاز وهمها شيئاً يذكر !!

وغيرهما الكثيرون ممن زدونا بالمخترعات والإبداعات الرائعة ، التي إخترت سجن الزمن وحلقت
خارج قيود الأرض الإتلافية ، هؤلاء كانوا يعيشوا أوهاما لذيدة دفعتهم إلى تقجير طاقات الخلق الوثابة ،
فأتحفونا بما يحقق سعادتنا وألمنا في ذات الوقت .

والمتنبي سمي كذلك ، لأنه توهم بأنه نبي ومضى في أعماق لا وعيه يتصرف على أنه نبي ، وعليه
أن يقول كما يقول الأنبياء ، ويأتي بما يعجز عنه الآخرون من حوله ، لكي يكتسب صفة نبي ، أي أنه
لا بد أن يحقق معجزة أرضية تخرجه من الطور البشري ، وتدفعه إلى مصاف الأنبياء ، فمضى يتفنن في
الوصول إلى القول الذي يريده أن يكون إعجازاً .

ومن يرى أن وهم النبوة قد تلاشى في أعماق المتنبي ، فإنه يجانب حقيقة شخصية الشاعر ويستنزله
من مقامات اللاوعي العلوية ، فعبرت عنه في سلوكها وشعرها ولا زلنا نتغنى به وبجماليتها ، لأن صاحبها
أراد أن يفي لوهمه الذي تملكه وجلاه بسوط الصيرورات الكبرى .

والقول بالأوهام في وصف الإبداع إنما هو الوهم بعينه ، وإضافة وهمية لحلقة الأوهام الأرضية
المفرغة ، التي لا يمكننا أن نعرف نهايتها أو بدايتها ، بل نمضي معها في دوران اللا أدري البعيد .

الشعر وهم والشاعر في أعظم وهم ، والإبداع وهم الوهم ، وكلنا في محيطات الوهم أمواج تتلاقى
وتظهر ، ثم تذوب في الوهم الأرضي اللذيذ ، ولا يمكننا أن نستيق من أوهامنا ونتحرر من جاذبية
الأرض الثقيلة ، التي تشوه رؤانا وتمتلكنا وتنومنا وتخدنا بمحاليل الرغبات السرية ، إلا في وقت لا
نتبعنا فيه اليقظة .

وتلك مأساتنا وديدن آهاتنا وتفاعلاتنا المتأججة على بقعة كونية تقبض على لهيب النار ، وتعطينا ما
يحرقنا من نطف الأوهام ، ومبررات الصراع والضياح الوهمي في مدارات اللاجوى .

الشعر وهمّ عذب والشاعر متوهم خصب ، ولولا الوهم لما كتبنا شعرا ولا تمتعنا بإضطراب الأفكار ،
وتفاعلاتها الغريبة في عالم القصيدة الجديدة ، والذي نسميه جمالا وإبداعا وتحفة فنية ، وهو مصنوع من
حجارة الوهم المطبوخة بنيران الأوهام الوهاجة .

وهمننا سر الوجود ، همننا إنجاب وهم ، نحن ذرات تطير ، في فضاءات الخطير ، موجة تأتي وأخرى
تذهب ، وكذا نحن بوهم نلعب !!

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa301-100521.pdf>

شبكة العلوم النفسية العربية

نحن تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2020 ل " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار التاسع)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 19 على الويب

21 عاما من الصح... 19 عاما من الإنجازات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>